# المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

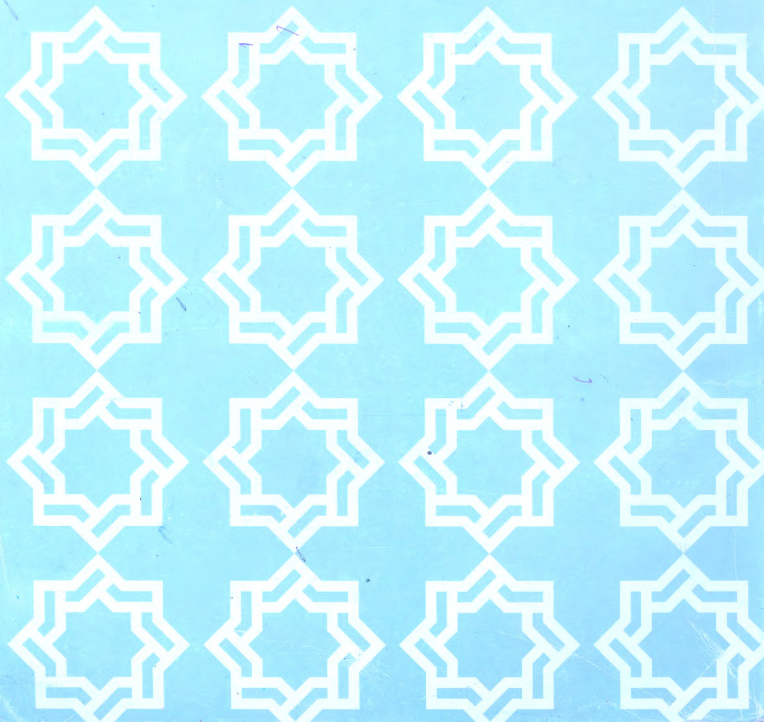

# بناء الرباعي ومعانيه في العربية

ابراهيم السامرائي

أسهب الصرفيون الاقدمون في مادة الفعل ، فذكروا الفعل الثلاثي وابنيته وما ينصرف اليه من خصوصيات معنوية تخص وزنا دون آخر .

ثم بحثوا في المزيد الثلاثي ومعاني الزيادات ، ثم بحثوا في الرباعي المجرد . وختموا هذا الباب بالكلام على الابنية الغريبة من الافعال . وقد فاتهم أن يبحثوا عن كيفية بناء هذه الافعال وكيف نشأت ، وهل كان الثلاثي أصلاً في البناء ، وما علاقة الثلاثي بالمادة الثنائية . كل هذا اغفله الاقدمون فكان على اهل هذا العصر أن يتموا ما لم يعرض له اولئك الأقدمون .

غير أنه لابد من الاشارة الى أن احمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ قد اشار الى بناء الرباعي عامة في الأفعال والأسماء وان الكثير من ذلك يتم بالنحت . والنحت تركيب بطريقة خاصة لا قياس فيها ، ومثل لهذا النحت في « الصاحبي » [1] بقول العرب للرجل الشديد «ضِبَطْر» من « ضَبَطَ » و « ضَبَرَ » وفي قولهم « صَهْصَلِق » من « صَهَلَ » و « صَلَقَ » ومن «الصِلِدم» انه من «الصَلْد» و «الصدم» وملاك الأمر في هذا النحت أن الرباعي المنحوت يأتي من مادتين ثلاثيتين على هذا النحو من الاعتباط في البناء .

وشذّ احمد بن فارس من أصحاب المعجمات في ذكره لطريقة بناء الرباعي في «مقاييس اللغة » وسأتتبع الرباعي في هذا المعجم لاتبين قول ابن فارس في طريقة البناء .

ويفرد ابن فارس لما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف أبواباً يذكرها بعد استيفاء الثلاثي . ومما جاء من ذلك وأوله باء قوله [2] : ــ اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق . وذلك أن اكثر مانراه منه منحوت . ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ . والاصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم : حَيْعَل الرجل إذا قال حيَّ على ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم «عَبْشَمي» وقوله :

وتضحك مني شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

فعلى هذا الاصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول إن ذلك على ضربين : احدهما

(١) ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٢٧ .

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ١/٣٢٨ ــ ٣٣٦

المنحـــوت الذي ذكرنـاه ، والضـرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس .

فما جاء منحوتا من كلام الرباعي اوله باء : ( البلعوم ) مجرى الطعـــام في الحلق . وقـد يحذف فيقال « بَلعُم » وغير مشكل أن هـذا مأخوذ من « بَلِعَ » الا أنه زيد عليه ما زيـد لجنس من المبالغة في معناه وهذا وما أشبهه توطئة لما بعده . انتهى كلام ابن فارس . اقول : ليس في « البلعوم » نحت على النحو الذي ذكره ابن فارس من كون المنحوت آتياً من مادتين ثلاثيتين ، وحقيقته ان الميم زيدت على المادة الثلاثية « بلع » كما تزاد الميم في أواخر كثير من المواد للغرض نفسه . أما الواو فلا يدخل في مادة البناء فهو نوع من انواع المـد . ثم ذكر ابن فارس : ومن ذلك «بُحتُر» وهو القصير المجتمع الخلق . فهـذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء ، وهـو من بترته فبتر ، كأن حُرِم الطول فبُتر خَلْقه .

والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، وهو من حَتَرت واحتَرْت ، وذلك أن لا تفضـــل على أحـد يقال : أحترَ على نفسه وعياله اي ضيّق عليهم . فقد صار هذا المعنى في القصير لانه لـم يعط ما أعطيه الطويل .

أقول : التوصـل بلطف ودقة الى الاصلين اللذين جاء منهما المنحـوت لا يخلو من افتيات واصطنـاع وذلك اننا لا نلمح المعنى لكل مـن الثلاثيين بيسر ووضوح ولابد من التعليل والتأويل حتى يتم وينسجم لنا المعنى المتحصل الذي تحمله المادة الرباعية المنحوتة وربما كان لمح الاصـل في « بُحتُر » اسهل من غيره كما سنرى فى الامثلة التي سيأتي ذكرها .

ثم قال :

ومن ذلك (بَحثَرتُ) الشيء اذا بَدَدتهُ . والبَحثرة الكَدَر في الماء . وهذه منحوتة مـن كلمتين : من بحثت الشـــيء في التـــراب ـ وقد فسر في الثـلاثي ـ ومن البَثْر الـذي يظهر على البدن وهـو غري صحيح معروف . وذلك انه يظهر مفرقاً على الجلد .

أقول : ربما صعب على الباحث ان يرد هذا الفعل الرباعي الى اصليه الثلاثيين للعلاقة الضعيفة بين المعنى المتحصـل من الرباعي « بحثر » وبين المعنى المتحصل من كل من الثلاثيين . وسنجد أن سلوك هذا السبيل في اغلب المواد التي ذكرها ابن فارس لم يسلمه من الشطط والتزيد . وربما شعر بذلك ابن فارس نفسـه فاحتاط في عبارته كما سنتبين ذلك . وسأعقب هذا القسم المتعلق بالمواد التي جاءت في مقاييس اللغة بالمواد الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية لاتبين طريقة البناء . ومن المفيد أن اذكر هنا ان الفعل « بحثر » معروف في عاميتنا البغدادية على القلب المكـاني[٣] فهو « بَحرَث » فماذا كان يقول فيه ابن فارس لو جاء هذا الفعل على هذه الطريقة من القلب في كلام العرب . أتـراه يرده الى أصـليه « بحث » و « بثر » ام تراه يقول : من « بحث » و « حرث » ثم قال :

ومن ذلك ( البَعْثَقَة ) وتفسيره خـروج الماء من الحوض . يقال تبعثقَ الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها . وذلك منحوت مـن كلمتين : بَعَق و بَثَق ، يقال انبعق الماء

---

(٣) اقول : ان القلب المكاني الذي قال به اللغويون الاقدمون شيء من الوان الكلام فى اللغـات العامية . وعلى هذا فاني استرجح أن تكون « جبذ » و « صاقعه » وما الى هذا مـن الكثير الذي ورد في باب القلب ، من بـاب اللغات الخاصة اي ما يصطلح عليه اليـوم بـ ( اللهجات ) ذلك ان كلام العرب جرى على الفصيح المشهور وهو « جذب » و «صاعقة» ومما يؤيد هذا النظر اننا نجد هذا القلب كثيرا في عاميتنا بالقياس الى الفصيح المليح نحو « دحنّق » وفصيحـــه « حـدّق » و « يواسي » وفصيحه « يساوي » وغـير هذا .

تفتّح وبثقت في الماء . وقد مضى ذكره أقول : ذكر ابن فارس ان « بثق » مضى ذكره ويقصد في باب الثلاثي ولكنه لم يذكر معناه هناك واكتفى بذكر المادة وكأنها من المشاهير وحقيقة البثق خروج المـاء .

ثم قال :

ومن ذلك ( ابلندَحَ ) وتفسيره اتسع وهو منحـوت من كلمتين من البداح وهي الارض الواسعة ومن البَدَر وهو الفضاء البراز وقد مضى تفسيرهما .

ثم قال :

ومن ذلك قولهم ( بلطح ) الرجل اذا ضرب بنفسه الارض فهي منحوتة من بَطِح وأَبلِط اذا لصِق ببلاط الارض .

أقول : اجرى ابن فارس هذا الفعل على انه منحوت والنحت عنده مادة ضخمة تدخل في الكثير مما زاد على الثلاثة . وكأنه لا يريد أن يقول إن اللام في هذه المادة طارئة وهي ابدال من الطاء في « بطّح » بالتضعيف ،فأنه حيث فك التضعيف حصل الابدال وهذا لون من الوان بناء الرباعي كمـا سـنرى .

ثم قال : ومن ذلك قولهم ( بزمخ ) الرجل اذا تكبر . وهي منحوتة من قولهم زمخ اذا شمخ بأنفـه ، وهـو زامخ ، ومن قولهم بَزِحَ اذا اذا تقاعس ومشى متبازخاً اذا تكلف إقامة صلبه .

أقول : ان النحت قد يلمح في « بزمخ » للعلاقة بين « زمخ » و « بزخ » دون ان يكون في سلوك هذا السبيل من شـطط .

وقال :

ومـن ذلك قولهم ( تَبلخَصَ لحمه ) اذا غَلُظ . وذلك من الكلمتين ، مـن اللخص وهو كثرة اللحم ، يقال ضرع لخيص ، ومن البَخَص ولحمة الذراع والعين وأصول الاصابع .

وقال :

ومن ذلك ( تَبزعَرَ ) [٤] اي سـاء خُلُقه. وهذا من الزَعَر والزَعارة ، والتبزّع ، وتبزّع الغلام ظرف .

أقول : ان لمح النحت في هذه المادة بعيد ، ذلك ان المادتين الثلاثيتين لا تعينان على تكوين هـذا المعنى الجديد الذي لا يُلمح الى الظرف وما يقاربه في المعنى .

ومن ذلك ( البهنسة ) التبختر فهـو مـن البهس صفة الاسد ، ومن بَنَس اذا تأخر . معناه انه يمشي مقاربا فى تعظم وكبر .

أقول : ليس في هذه المادة الرباعية ما يقوي القول بالنحت وذلك انه لا سـبيل الى لمح مادة ( بنس ) في الرباعي ( تبهنس ) .

وقال :

ومما يقارب هذا قولهم ( بَلْهَسَ ) اذا أسرع . فهو من ( بَهَسَ ) ومن ( بَلِهَ ) وهو صفة الابله .

ومنه ( بلأَصَ ) بمعنى هـرب غير أصـل لان الهمزة مبدلة من هاء والصاد مبدلة من سين.

---

(٤) لم ترد هذه المادة في اللسان ، بل جاءت في القاموس . واغلب الظن انها من الكـلام العامي الذي يجد في عصـر دون آخـر . فمن الجائز انها لم تكن معروفة مستعملة في عصر ابن مكرم الافريقي صاحب اللسان ، او قل انها لم تكن معروفة فى العامية المصرية او الافريقية بوجه عام في ذلك العصر بـل كانت معروفة في المشرق ولهذا ذكرها المجد الفيروز آبادي الذي عرف كثيرا مـن ديار المشرق . كما ذكرها ابن فارس مـن قبل . ونريد ان نعلق على هذه المواد مثل « بزمخ » و ( تبلخص ) و ( تبزعر ) وذلك انها تـرد الفاظا يتيمة في المعجم وهي تفتقر الى النصوص المستعملة المأثورة ولم ترد حتى في اراجيـز الرجاز . وهذا يقوي عندي عاميتها وانهـا موضوعة مصنوعة .

أقول : يريد أن يقول ان ( بلهس ) تحولت بالابدال الى ( بكلاص ) .

ولا أرى وجهاً للنحت من ( بَهَس ) و(بَلِه) لأن مادة ( بله ) لا تلمح في المادة الرباعية المنحوتة.

ثم ذكر ابن فارس باباً آخر من الرباعي فقال :[٥] ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ، لكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة ، كما يفعلون في ( زَرْقَم ) [٦] و ( خَلْبَن ) [٧] لكن هذه الزيادة تقع اولاً وغير أول .

أقول : عرض ابن فارس طريقة اخرى من الطرق التي يتم بها بناء الرباعي وهي بزيادة حرف على الثلاثة . ولكن ابن فارس يرى في هذه الزيادة معنى من المبالغة كما مثل في ( زَرْقَم ) و ( خَلْبَن ) وكأنه أراد أن يذهب الى القول بأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى .

وما اظن ان هذا الرأي ينسجم تمام الانسجام في كثير من المسائل اللغوية كما يتبين هذا من ارادة فهم الجموع في العربية على هذا الوجه من تعليل الزيادة غير انه من الممكن أن يقال : ان الزيادة تؤدي فائدة معنوية بحيث تصبح الكلمة المزيدة في كثير من الاحيان تغاير لأصلها الثلاثي الذي جاءت منه .

قال ابن فارس :

من ذلك ( البحضلة ) قالوا : أن يقفز الرجل قَفَزان اليربوع . فالباء زائدة . قال الخليل الحاظل الذي يمشي في شفه . يقال مَرَّ بنا يحظل ظالعا .

أقول : ان المعنى المتحصل بزيادة الباء لا يفيد نوعا من المبالغة ، وانما يفيد معنىً آخر لا يمكن أن يتوجه للمبالغة .

قال : ـ

ومن ذلك ( البَرْجَمَة ) غِلَظ الكلام . فالراء زائدة ، وانما الأصل البَجَم .

قال ابن دريد : بَجَم الرجل يبجُم بُجوماً، اذا سكت من عِيٍّ أوهيبةٍ فهو باجم .

أقول : وهذا مثل ( البحظلة ) فان المعنى المتحصل بزيادة الراء غير المعنى الاول ولا يكون مبالغة فيه .

وقال :

ومن ذلك ( بَلْذَمَ ) اذا فَرِقَ فسكت . والباء زائدة ، وانما هو من لَذِمَ اذا لَزِمَ بمكانه فَرَقاً لا يتحرك .

أقول : ان بين الثلاثي والرباعي علاقة بينة ، وقد تكون هذه الزيادة مقوية للمعنىاو موضحةله بشكل خاص . على ان الفعل رباعيه وثلاثيه من النوادر التي لم يعرف لها استعمال ، وما اكثر ذلك في المعجم القديم .

وقال :

ومن ذلك ( برعم ) النبت اذا استدارت رُءوسُه . والاصل بَرَع اذا طال .

وقال :

ومن ذلك ( البَرْكَلَة ) وهو مشي الانسان في الماء والطين . فالباء زائدة وانما هو من تَرَكَّلَ اذا ضَرَب باحدى رجليه فأدخلها في الارض عند الحفر .

قال الاخطل : ـ

رَبَتْ وَرَبا في حَجرها ابن مدينة
يظل على مِسحاته يترَكَّلُ

أقول : ان المعنى الجديد المتحصل بالزيادة لا يمكن ان يكون نوعاً من المبالغة للمعنى الاول .

---

(٥) معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٢ـ٣٣٥ .
(٦) الزرقم بضم الزاء والقاف الشديدة الزرقة .
(٧) الخَلْبَن بفتح الخاء والباء الخرقاء ، انظر مادة ( خلب ) في اللسان .
(٨) في المجمل بالدال والذال .

وقال :

ومن ذلك قولهم ( بَلسَمَ ) الرجل كرّه وجهه • فالميم فيه زائدة ، وانما هو من المُبلِس ، وهو الكئيب الحزين المتندم • قال :

وفي الوجوه صُفرة وإبلاسُ

أقول : ان زيادة الميم كسعاً في الكلمة Suffixe كثير في الرباعي من الافعال والاسماء، نحو صِلدِم وزُرقُم وحَلقَم وزَرْدَمَ •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك ( تبعثرت نفسي ) فالعين زائدة ، وانما هو في الباء والثاء والراء •

اقول : لا ادري كيف علل الرباعي بزيادة العين في هذا الفعل ، في حين انه قال بالنحت في ( بَحثَرَ ) من مادتي ( بحث ) و ( بثر ) •

وليس هذا هو الصواب عندي • فان كلا الفعلين مادة واحدة فان ( بعثر ) هي ( بحثر ) والمسألة تتعلق بالابدال بين الحرفين • وعلى هذا فان الاصل ( بحثر ) ثم حصل الابدال •

ثم يعقب ابن فارس هذا الباب بباب آخر يعرّفه بأنه وضع وضعاً [٩] وهذا التعريف المقتضب يشير الى حيرة ابن فارس في فهم هذا النوع من الرباعي ذلك انه لم يعرف الاصل الذي جاء منه ويمثل له بجملة من الامثلة التي اولها الباء ومنها : البُهصُلةُ المرأة القصيرة ، وحمار بُهْصُل قصير، والبُخنُق : البرقع القصير ، البَلْعَث السيء الخلق • البَهْكَثة السرعة • بَرْشَطَ اللحم شرشره [١٠] بَرْشَمَ الرجلُ اذا وَجَم •

وذكر ابن فارس في كتاب الثاء من معجمه في « باب ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف اوله ثاء موادّ منها :

( الثُرمُطة ) ، وهي اللُثَق والطين • وهذا منحوت من كلمتين من الثَرْط والرَمْط ، وهما اللطخ • يقال ثُرط فلان اذا لطخ بعيب وكذلك رُمِط •

اقول : وهذه من النوادر ايضا وما اكثر ذلك في الرباعي والخماسي • ويبدو ان الوضع او الاصطناع قد فشا في الابنية التي على اكثر من ثلاثة احرف •

وقال :

ومن ذلك ( اثبجرّ ) القوم في أمرهم ، اذا شكّوا فيه وترددوا من فزع وذعر • وهذا منحوت من الثَبَج والثُجْرة •

أقول: الثبج معظم الشيء ووسطه ، وثَبَجَ الرجلُ اذا اقعى على أطراف قدميه • اما الثُجرة في الوادي فهي وسطه وما اتسع منه • ويتبين من هذا ان كلاالمادتين يفيدانشيئاواحدا وهو الاتساع والشمول ، ولست ادري كيف تم النحت على قول ابن فارس ، وهل يشعر المنحوت بشيء من هذا المعنى • وعلى هذا فليس من الصواب القول بالنحت في ( اثبجرّ ) ، واكبر الظن انه من الموضوعات التيوضعت دون ان يكون هناك اتصال بمادة ثلاثية • ويوجز ابن فارس في كتاب الجيم من معجمه على ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف أوله جيم فيقول [١١] :

وذلك على اضرب : فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس • ومنه ما اصله كلمة واحدة وقد الحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله • ومنه ما يوضع كذا وضعا •

فمن المنحوت قولهم للباقي من اصل السعفة اذا قطعت ( جُذمَور ) •

قال[١٢] :

بنانتين وجذموراً أقيم بها
صدرَ القناة اذا ما آنَسوا فزَعا

---

(٩) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٥.
(١٠) لم ترد هذه المادة في اللسان .

(١١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/٥٠٥-٥١٣ .
(١٢) البيت لعبدالله بن سبرة يرثي يده وكانت قد قطعت . اللسان مادة ( جذمر )

وكذلك من كلمتين : احدهما الجذم وهو الاصل ، والاخرى الجذْر وهو الاصل .

أقول :

وكأن ابن فارس قد وجد في هذه الكلمة صدق ما ذهب اليه من وجود النحت في هذه المادة فقال : الكلمة من اول الدليل على صحة مذهبنا في هذا الباب وبالله التوفيق .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للرملة المشرفة على ما حولها ( جمهور ) . وهذا من كلمتين من جَمَر ، . وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجَمَرات من العرب بما مضى ذكره والكلمة الاخرى جَهَرَ ، وقد قلنا ان ذلك من العلو . فالجمهور شيء متجمع عال .

أقول : ان ( الجمهور ) يدل على التجمع وعلى هذا فهو الصق بـ ( جمر ) ولا ارى وجها ان يكون في ( جمهور ) مادة ( جهر ) التي تفيد العلو، ذلك ان العلو لا يلمح في الكلمة المنحوتة .

والذي يبدو لي انه من ( جَمّور ) بتشديد الميم وتعويض الهاء من احدى الميمين ، وهذهطريقة سنجدها في كثير من المواد الرباعية .

وقال ابن فارس : ــ

ومن ذلك قولهم للارض الغليظة (جَمْعَرة). فهذا من الجمع ومن الجمر .

أقول : هذه مادة تشعر بالنحت من الاصلين الثلاثيين اللذين ذكرهما ابن فارس . وسأورد من الرباعي العامي هذه المادة وهي ( جَعْمَرة ) وهي تختلف عما اثبته ابن فارس بما نسميه بالقلب المكاني .

غير ان ابن فارس يعود ثانيةً الى هذه المادة فيذكر انها منحوتة ايضا . ولكنها في هذه المرة من ( جمع ) و ( مَعَرَ) والمعر وهو الارض لانبات فيه . وهذا القول الثاني يدل بوضوح أن ابن فارس في حيرة ولهذا فهو متخبط متردد ، وذلك ان القول بالنحت أمر يلمح بالنظر الصائب ، واللطف في تناول المواد ، وان افتقر الى القياس والتقدير ، ولهذا فقد كان على الباحث ان يكون حذرا دقيق النظر في القول بالنحت فلا يقول به الا متى اشعر بذلك بوضوح وجلاء .

ويعود ابن فارس فيقول :

ومن ذلك قولهم للقصير ( جَعْبَر ) وامرأة جَعْبَرة قصيرة . قال (١٣) :

لا جعبريات ولا طهامِلا

فيكون من الذي قبله ، ويكون الراء زائدة .

أقول : ذكر ان ( جَعْبَر ) من مادة ذكرت قبلها وهي ( جَرْعب ) التي جاءت من الجَعْب وهو التقبض والجرع التواء في قوى الحبل ، والراء زائدة . وفي كلا الكلمتين الراء زائدة . واراد ان يقول ان القلب المكاني قد دخل هذه المادة . غير ان ( جرعَب ) معناها الجافي ، وهو معنى بعيد كل البعد عن معنى (جعَبر ) . وما اظن ان القلب المكاني يغير في معاني الالفاظ على هذا النحو من البعد .

والذي اراه ان ( جَعْبَر ) للقصير و ( جَعْبَرة ) للقصيرة لم تخرج عن مادة ( جعمر ) والباء في ( جَعْبَر ) مبدلة بالميم .

وذكر ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للحجر ( جَنْدل ) . فمكن ان يكون نونه زائدة ، ويكون من الجَدْل وهو صلابة فى الشيء وَطي وتداخل ، يقولون خلق

---

(١٣) الرجز لرؤبة من ديوانه ١٢١ واللسان (جعبر طهمل ) .

ويبدو لي ان مقالة الاقدمين بنسبة الوضع والاصطناع اللغوي لرؤبة وابيه العجاج لها ما يقويها ، وهو أن كثيرا من الغريب الذي جاء في ارجازهما لم يعرف عند غيرهما ، وان الكثير منهابنية غريبةليست مشهورةفي فصيح العربية وربما افتقرت الى خصائص الفصاحة الاخرى .

مجدول • ويجوز ان يكون منحوتا من هذا ومن الجنـد ، وهي ارض صلبة • فهـذا ما جاء على المقاييس الصحيحة •

اقول : قوله : ان يكـون نون ( جَندل ) زائدة ليـس بصحيح فهي تعويض من الدال في ( جدّل ) بالتشديد ، فان فك الادغام يؤدي الى هذا الغرض وهو كثير في الفصيح واكثـر منه فى العامي •

وسنرى ذلك عند الكلام على الرباعي العامي

ثم يختم ابن فارس كتاب الجيم بالمواد التي وضعت وضعا وهي تلك التي لا يقول في بنائها شيئا ومنها : ــ

المُجلنظى الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه•

أقول : هذا البناء من الابنيـة الغريبة فان ( اجلنظى ) ليس على صيغة معروفة مشهورة وهو من الفرائد الغرائب ، ومثل ذلك قولهم (اسلنقى) في المعنى نفسه و ( احبنطى ) للمنتفخ بطنه • والذي اراه ان هذه الافعال مما لاتدع شكا في ان الوضع والاصطناع قد حدثا في العربية وان شيئا كثيرا مـن ذلك كان من صـنعة اللغويين ومثل هـذا المُجلعِبّ والمُجلخِدّ للمستلقي ايضا •

ويذكر ابن فارس في كتاب الحاء مما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف [١٤] مايأتي :

ومنه ( الحُلقوم ) وليس ذلك منحوتا ولكنه مما زيدت فيه الميم ، والاصل الحلق • والحَلقَمة قطع الحلقوم •

أقول : هذا صحيح وزيادة الميم في هذه المادة واضحة ولكن ما بال ابن فارس لم يقل هذه المقالة في ( بلعوم ) وحسبها مما زيد فيه الواو والميم • وليس كذلك فإن حروف المد لا تعتبر من ابنيـة الاسماء اذ لو كانت منها لكانت حلقوم خماسية وليست رباعية وهذا خلاف ما اتفق عليه •

وقال :

ومنه ( المُحلَنفِنّ ) من البُسر وذلك ان يبلغ الارطاب ثلثيه وهذا مما زيدت فيه النون ، وانما هـو من الحلق ، كأن الارطاب اذا بلغ ذلك الموضع منه فقد بلغ الى حلقه • ويقال له الحُلقان، الواحدة حُلقانة •

أقول : كما يزاد الميم في آخر المواد الثلاثية لتكون رباعية كذلك يزاد النون في مواد كثيرة من اجل هذا والفصيحة في هذا مثل العامية كما سنتبين ذلك في عرضنا للرباعي العامي •

وقال :

ومن ذلك (احرنجم) للابل ، اذا ارتدبعضها على بعض ، واحرنجم القوم اذا اجتمعوا • وهذه فيها نون وميم ، وانما الاصل الحَرَج ، وهـو الشجر المجتمع الملتف •

أقـول : وهذا الفعل من الافعال التي كثر الاستشهاد بها في كتب الصـرف واللغة ولكنها افتقرت الى الاستعمال المشهور ، والزيادة كما ذهب ابن فارس واضحة بينة • واريد أن أزيد شيئا وهو ان الفعل معروف في العامية البغدادية ، وعند العامة ان ( حرجم ) معناه ثبت فى مكانه دون حراك ولا يقوى على عمل أي شيء ، وفي هـذا المعنى لمح لشيء من معناه في اللغة الفصيحة •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك ( تحترش ) القوم : حشدوا والتاء فيه زائدة وانما الاصل الحرش والتحريش • وفيه ايضا أن يكون من حَتَر وأصله حتار الخيمة وما اطاف به من اذيالها فكذلك هؤلاء تجمعوا واطاف بعضهم ببعض فقد صار الكلمة اذا من باب النحت•

أقول : لم يكن ابن فارس على بينة من هذا الفعل فبينا هو قال بزيادة التاء عاد فمال الى القول بالنحت وللتوصل الى القول بالنحت سلك سبيلاً غير ممهد وتشبث بالضعيف من العلاقات المعنوية• وعندي أن زيادة التاء أمر صحيح يدل عليه أنهم قالوا : حرّشت بينهم اذا اغريت وألقيت العداوة•

(١٤) مقاييس اللغة ٢/١٤٣ــ١٤٨ .

ومن المفيد أن نذكر أن الفعل ( تحترش ) موجود في العامية العراقية ومعناه قريب من ( حرّشَ ) المذكور وهو التقرب من احد من الناس بقصد الاذى وإثارة العداوة والبغضاء .

وقال ابن فارس في كتاب الخاء مما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف [١٥] ومنه ( المخرنطم ) الغضبان وهذه منحوتة من خطم وخرط ، لان الغضوب خروط راكب رأسه . والخطم : الانف ، وهو شمخ بأنفه . قال الراجز في المخرنطم :

ياهَيء مالي قَلِقَت محاوري
وصار أمثال الفغا ضرائري
مخرنطمات عُسُراً عواسري

والمخرنشم مثل المخرنطم .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك ( خردلت) اللحم : قطّعته وفرقته . والذي عندي في هذا أنه مشبه بالحب الذي يسمى الخردَل ، وهو اسم واقع فيه الاتفاق بين العرب والعجم وهو موضوع من غير اشتقاق . ومن قال خَرْدَل جعل الذال بدلاً من الدال .

أقول : هذه طريقة من طرائق صوغ الرباعي وهو اشتقاقه من اسماء الاعيان كما اشتق ( خَرْدَل ) من الخردل ، و ( فَلْفَل ) من الفُلفُل ، و ( نَرجَس ) من النرجس و (يَرْنأ ) من اليَرْناء .

وقال :

ويقولون ( خَلْبَصَ ) الرجل اذا فرّ والباء فيه زائدة وهو من خَلَصَ ، وقال :

لما رآني بالبَراز حصحصا
في الارض مني هَرَباً وخَلْبَصَا

أقول : يبدو لي أن الباء غير زائدة ، وان اللام هي الزائدة والاصل خَبَصَ لا خَلَصَ ، وفي ( خَبَصَ ) معنى الخلط والحيرة والذي يخبص هو الذي اختلط عليه الامر . وقول الراجز :

... ... ...
في الارض مني هَرَباً وخَلْبَصا

يتخرج على هذا المعنى من الخلط والحيرة لا فرّ .

وبعدَ فالكلمة مما يستعمله عامةالعراقيين في عصرنا في هذا المعنى الذي أشرت اليه .

وقال :

ويقولون ( الخَنْبَصَة ) اختلاط الأمر .

فان كان صحيحاً فالنون زائدة وانما هو من ( خَبَصَ ) ، وبه سُمِيَ الخبيص .

أقول : وهذا من المادة السابقة والابدال بين اللام والنون كثير في العربية .

وقال ابن فارس :

و ( الخرطوم ) معروف ، والراء زائدة ، والاصل فيه الخطم .

أقول : هذا هو الوجه ، ولكن لِمَ قال بالنحت في ( مخرنطم ) و ( مخرنشم ) وكلها متساوية في كونها من اصل ثلاثي زيدت فيه الراء .

وعندي أن الراء في هذه المواد جاءت تعويضا من أحد من حرفين بعد فك إدغامهما ألا ترى أن ( خطّم ) بالتشديد حين يفك الادغام يحصل فيه هذه التعويض كما سنعرض لذلك في كثير من الافعال وفي كتاب الدال يذكر ابن فارس في باب ماجاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف[١٦] مادة على نحو ما ذكره في الحروف الاخرى .

وهذه المواد بصورة عامة تحملني على القول: ان معجمات العربية في هذا الباب حفلت بالغريب المهجور الذي لم يسلم من الوضع والاختراع فأنت واجد في هذا الباب كلمات يتيمة واقصد

(١٥) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٤٨-٢٥٤

(١٦) مقاييس اللغة ٢/٢٣٧-٢٤٢

باليتيمة مالم تدخل في الاستعمال المشهور الفصيح، ثم إنها بعد ذلك غريبة الابنية تفتقر الى شيء كثير من تناسق الاصوات وانسجامها . لقد شك أهل البلاغة في لفظة ( الهمخع ) وذلك أن الكلمة الفصيحة عندهم ما تباعدت فيها مخارج الحروف كما قال الخليل .

وفاتهم أن يقولوا شيئا في اجلنظى واحرنبى واسلنقى والجلنفع والجخدب والبحزج والبرعس والبرقطة والحزنبل والحبوكر والحبلق واحبنطى والخبنتعة والخثارم والدملص والدمليص والدفس والادرنفاق والادعنكار والدهكم والدغفل ومثل هذا كثير نجده في جميع كتب اللغة المطولة .

وعندي أن جل هذا مما اصطنع اصطناعا فبقي حبيس هذه المطولات . غير أني اخترت من مجموع هذا ماتوسمت الصحة فيه ولا سيما ما وجد نظيره في لغتنا الحديثة فصيحة ام عامية .

ومما ذكره ابن فارس من كتاب الدال من هذا الباب :

( الدعبل ) وهو الجمل العظيم[17] وهو منحوت من كلمتين من دبلنت الشيء اذا جمعته ومن عبل .

أقول : إن هذه المادة مازالت في عاميتنا ( دعبل ) ومعناها كوّر الشيء فصار كالكرة التي تتدحرج . وفي هذه الدلالات مايشعر ولو قليلاً بالفصيحة القديمة .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك ( الدعثور ) وهو الحوض الذي لم يتنوّق في صنعته .

وهذا مما زيدت فيه العين ، وهو من (دثر) ويجوز أن يكون من ( دعث ) .

أقول : وعندي أنه من ( دثر ) أولى وذلك لان ( الدعث ) الحقد وبعيد هذا عن المعنى المتحصل بالزيادة . والذي يقوي عندي هذا المعنى أن المادة موجودة في عاميتنا الحاضرة ( دعثر ) والدعثرة في لسان اهل هذا العصر عدم التنوق في الملبس كقولهم فلان مدعثر بالبناء للمفعول.

وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب[18] :

( رعبلت ) اللحم رعبلة اذا قطعته. قال :

ترى الملوك حوله مرعبلة[19]

فهذا مما زيدت فيه الباء ، وأصله من رعل، والرعلة ما يقطع من اذن الشاة ويترك معلقا ينوس .

أقول ان هذه المادة حية في العامية المتداولة في العراق (رعبل) ومعناها فقدان الحسن والتنوق في الملبس بحيث يبدو الرجل (مرعبلاً) فاقدا للرشاقة والانسجام أميل الى الضخامة والاتساع.

وجملة هذه المعاني تقوي عندي أن هذا الفعل العامي صيغ على طريقة النحت من رجل وعبل وكلا الفعلين يدلان على التجمع والكثرة والانضمام، وشيء من هذا المعنى ثابت لهذه المادة في المعجمات المطولة فالرعبلة ما أخلق من الثوب وثوب مرعبل ممزّق ، وثوب رعابيل أخلاق .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك ( المرجحنّ ) وهو المائل ، فالنون زائدة لانه من رجح .

أقول وهذا صحيح وزيادة النون معروفة للمصير الى الرباعي .

---

(17) الدعبل فى المعجمات المطولة : الناقة القوية او الشارف .

(18) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٠٩ ـ ٥١٠

(19) ويروى ايضا منغربلة كما فى اللسان (غربل).

وذكر ابن فارس في كتاب الزاء من هـذا البـاب [٢٠] :

فمن المشتق الظاهر اشتقاقه قولهم (الزُرْقم)، أجمع اهل اللغـة أن اصله من الزرق وان الميم فيـه زائـدة .

أقول : ان زيادة الميم في الآخر مما جرت عليه العربية وهو في الكثير الغالب يراد به نـوع مـن المبالغة فان ( زُرقـم ) كما ذكر الليث [٢١] الشديد الزرقة ، قال : يقولون اذا اشتدت زرقة عين المرأة : إنها لزرقاء زُرْقم . وزيادة الميم في آخر الكلمة مما جرت عليه العربية طبيعةً وذلك أن الميم مما يحسن أن يوقف عليه . وكما تزاد الميم في الآخر تزاد في حشـو الكلمـة نحـو : ( ازمَهرَّ ) في قولهم : ازمهرَّت الكواكب أي ازهرت ولمعت .

ومثل هذا ( زمجر ) فهي من غير شك من ( زجـر ) .

وفي كتاب السـين ورد :

( اسلَهَمَّ ) اذا تغير لونه فاللام فيه زائدة ، وانما هـو من سَهَمَ وجهه يسهُم اذا تغيّر والاصل السـُهام .

أقول : مثل هذا الفعل ما نجد في العاميـة الحديثة وهـو ( سَلْهَم ) والمعنى واحد .

ومن ذلك ( السِرْطِمْ ) الواسع الحَلْق والميم زائدة وانما هـو سَرَط اذا بلع .

أقول : هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من زيادة الميم في الآخر للمبالغة .

وهكذا يستمر ابن فارس في ذكر ماجاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف مبوبا ذلك على الاحرف التي تبدأ بها المـواد .

وقد قلت : ان ابن فارس قد قال بالنحت في كثير من المواد ، ولكنه مع ذلك يقف حائرا في مواد كثيرة ايضا ينعتها بانها وضعت وضعا ، ومعنى ذلك انه لم يَرَ وجها من وجوه البناء وصيرورتها على اكثر من ثلاثة احرف .

ومن الجـدير بالذكر ان كثيرا من الافعال الرباعية مما جرى على السنة العامة في بغداد او في غيرها من صنع المعربين انفسهم . أقول مـن صنعهم لانه لا نستطيع أن نعرف اصـول تلك الافعال الرباعيـة ولا ما يقرب منها في الفصـيح المشهور ، فقد ينطلق أحدهم ببناء من اربعة احرف على ( فَعْلَلَ ) يتصور فيه صاحبه ان عدة هذه الاصوات على هذا النحو تفيد اللغط والهذر او ما أشبه ذلك ، ربما كان هذا المعنى من باب حكاية الاصوات التي جرى بها اللسـان .

وأنا لا اشك في ان الغرائب من المـواد في العربية التي لم تخرج الى الاسـتعمال المشـهور مصنوعة موضوعة ، وعلى هذا نستطيع ان نفسر كثيرا من الرباعي العامي الذي ينطلق به اللسان ثم يكتب له الشـيوع .

واذا احلنا النظر في « الجمهرة » [٢٢] لابن دريد وجدنا مادة غريبة ذات ابنية غريبة وان معنى واحد تتوارد عليه مئات من الالفاظ ، فاذا اخذنا شـدة الخلق وقوة البناء في الانسان والحيوان كالجمل والناقة على سبيل المثال ، وجدنا طائفة كبيرة من الالفاظ تتناول هـذا المعنى وليسـت ( الجمهرة ) بدعا بين كتب العربية فهي كلها تحوي من هذا الغريب الشيء الكثير .

ويبدو ان شيئا من هذا الغريب الذي لا يدل الا على معانٍ يسيرة موضوع مفتعل ، وقد اورد السيوطي [٢٣] طائفة من هذا مما روي ولم يصح ولم يثبت والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راو منه ، او جهالتـه ، او عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيـه . والسيوطي ينقل هذه الالفاظ من ( الجمهرة ) .

---

(٢٠) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٢ـ٥٥ .
(٢١) اللسان ( زرقم ) .
(٢٢) ابن دريد الجمهرة ، الجزء الثالث
(٢٣) السيوطي ، المزهر ١/١٠٣ .

وكان ابو منصور الازهري صاحب « التهذيب » قد ذكر في « مقدمته » [٢٤] :

وممن ألّف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية وتوليد الالفاظ ، وادخل ما ليس من كلام العرب في كلامها : ابو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب « الجمهرة » وكتاب « اشتقاق الاسماء » ، وكتاب « الملاحن » وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيته يروي عن حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن اخي الاصمعي ،وسألت ابراهيم ابن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثقه في روايته والفيته انا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم « الجمهرة » فلم أرِد لا على معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة انكرتها ولم اعرف مخارجها فاثبتها في كتابي في مواقعها منه ، لا بحث أنا وغيري عنها » .

وقد دافع عنه السيوطي في « المزهر » [٢٥] فقال :

« معاذ الله ، هو بريء مما رمي به ، ومن طالع « الجمهرة » رأى تحرّيه في روايته » . غير ان السيوطي حين اثبت في « المزهر » أن في العربية ما لم يصح ولم يثبت أتى بشواهد كثيرة أخذها من « الجمهرة » .

وسئل عنه الدارقطني [٢٦] : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه » [٢٧] .

وقال حمزه : سمعت أبا بكر الابهري المالكي يقول :

جلست الى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ما قال الاصمعي ، فكان يقول في واحد : حدثنا الرياشي ، وفي آخر : حدثنا ابو حاتم ، وفي آخر حدثنا ابن اخي الاصمعي عن الاصمعي ، كما يجيء على قلبه » [٢٨] .

وقال المسعودي في « مروج الذهب » [٢٩] : وانتهى ابن دريد في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين » .

وبعد فاذا كان هذا مما يؤيد القول انفي العربية الفصيحة كما أثبتتها معجمات اللغة افتعالاً واصطناعاً وكذبا فحقيق بنا أن نقول : إن عامية اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال .

غير ان الافتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن كالافتعال الذي تعمده اللغويون الاقدمون وقصدوا إليه اظهارا للعلم وادعاءً بالمعرفة ، بل ان هذا مما يجري به اللسان عفوا وبداهة . .

---

(٢٤) الازهري ، التهذيب ( مخطوط ) المقدمة .
(٢٥) السيوطي ، المزهر ١/٩٣ .
(٢٦) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابو الحسن البغدادي المعروف بالدارقطني الحافظ المشهور ، المتوفى سنة ٣٨٠ ، انظر الخطيب البغدادي ١٢/٣٤ ، ابن خلكان (نشر محمد محي الدين عبدالحميد ) ٢/٤٥٩
(٢٧) القفطي ، إنباه الرواة ٣/٩٥ .
(٢٨) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي ( دمشق ، المكتب الاسلامي ) المقدمة .
(٢٩) المسعودي ، مروج الذهب ٤/٢٤٧ .

**• هذا البحث الكامل على نفاسته مثقل بمواعيد كثيرة ، شاء لها الدكتور ابراهيم السامرائي ـ من حيث لم يحتسب ـ أن يعصمها من الوفاء . وما نظن انه استوعر تحقيقها ، ولكن من حق « المورد » ان تسائل : لماذا قال : « وساعقب هذا القسم المتعلق بالمواد الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية لأتبين طريقة البناء » ؟ ( ص ١٠٥ ) . ولماذا قال : « ونريد أن نعلق على هذه المواد ... الخ » ؟ ( ص ١٠٦ ) . ولماذا قال : « وساورد من الرباعي العامي هذه المادة وهي جعمرة » ؟ ( ص ١٠٩ ) . ولماذا قال : والفصيحة في هذا مثل العامية كما سنبين ذلك في عرضنا للرباعي العامي ؟ ( ص ١١٠ ) .**

**لماذا قال ذلك كله دون سند من وفاء؟.. انه وعد بالتعقيب والتعليق والعرض في مملكة « الرباعي العامي » ، ولكنه اخلف ، وعسى أن يكون لديه ما يبعده عن كل مظنة !!**

( المورد )